أثر النَّسق الاصطلاحيّ في تكوين المفاهيم النَّحويَّة عند سيبويه دارسة في المفهوم والوظائف والتَّمثلات

The effect of terminological coordination on the formation of grammatical concepts

A study in concept, functions and representations according to Sibawayh

د/ طارق بومود[1]

جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: boumoud.tarek@gmail.com

تاريخ الإرسال:2024/09/08	تاريخ القبول:2024/12/18	تاريخ النشر:2024/12/21

الملخص:

تَتَنَزَّلُ مادةُ هذا المقال في سياق التّعريف بالبنيَّة النَّسقيَّة المصطلحيَّة التي تَشَكَّلَ منها النّحوُ العربيّ مع بيان وظائفها التّأصيليَّة، وتمثلاتها الاصطلاحيَّة، ولاسيّما في كتاب سبيويه، ذلك أنَّ النَّسق النَّحوي يقوم على نظام نظريّ ومنهجيّ ثَاوي في بنيَّة اللّغة العربيَّة، كما يُسهم في إنتاج المفاهيم النَّحويَّة، وتفسير أحكامها؛ حيث يعملُ ضمن علاقات اصطلاحيَّة متداخلة ومترابطة ومتكاملة، تحكمُ عمليَّة صياغة الحدود النحويَّة تسميَّةً ومفهوماً وتعليلاً، إذ لا يمكن أنْ ندرسَ المصطلحات النَّحويَّة بمعزلٍ عن ارتباطاتها المفهوميَّة، وعلاقاتها الدلاليَّة التي يفرضها النَّسقُ المفهوميّ في إنشاء الصِّلات الاصطلاحيَّة المنسجمة والمُتَّسقة مع غيرها من المصطلحات النّحويَّة الأخرى، مما جعلنا نتساءل: ما طبيعة النّسق في الاصطلاحي النّحويّ؟ وعلى أي أصول نظريَّة وإجرائيَّة يقوم عليها النسق الاصطلاحي في كتاب سيبويه؟ وما أهم الوظائف النسقيَّة الاصطلاحيَّة في تكوين المفاهيم النحوية لهذا الكتاب؟

الكلمات المفتاحيَّة: البنيَّة، النَّسق، المصطلح النَّحوي، الوظائف، التمثلات، التعريفات.

Abstract:

The material of this article is presented in the context of defining the terminological systematic structure from which Arabic grammar was formed, with an explanation of its inherent functions and terminological representations, especially in the book of Sbayouh, because the grammatical system is based on a theoretical and methodological system that is integral to the structure of the Arabic language, and it also contributes to the production of grammatical concepts. And the interpretation of its provisions, as it works within overlapping,

(1) د/ طارق بومود

interconnected and integrated terminological relationships that govern the process of formulating grammatical boundaries. Naming, concept, and explanation; We cannot study grammatical terms in isolation from their conceptual connections and semantic relationships imposed by the conceptual system in establishing harmonious and consistent terminological connections with other grammatical terms, which made us ask: What is the nature of the terminological grammatical system? On what theoretical and procedural principles is the terminological system in Sibawayh's book based? What are the most important stylistic and terminological functions of this book?

.**Keywords**: structure, format, grammatical term, functions, representations, definition

مقدِمة:

لاشكَّ في أنّ عدمَ الوعيّ بتاريخ النَّحو العربيّ من جهة فهم بنيته النَّسقيَّة – الَّتي تحكمُ إطارَه النَّظريّ، وتُوجِهَ آلياته التَّفسيريَّة – تُعطي قراءات تَفسيريَّة خاطئة في فهم المنطلقات الأصوليَّة، والأسس اللِّسانيَّة والعلاقات التَّركيبيَّة الَّتي قام عليها الدَّرسُ النَّحويّ إجمالاً، ما أدى إلى ظهور آراء نقديَّة للنحو العربيّ لدى عدد من الدَّارسين المحدثين، تَتَّسِمُ بعضُها بالسَّطحيَّة والارتجاليَّة في التَّناول والمعالجة في بعض الأحيان، ذلك أنَّها قدمتْ انتقادات غير مؤسسة نَظريًّا، ولا مبررة منهجيًّا، ولاسِيَّما على صعيد فهم بنيَّة النَّسق المصطلحيّ للنحو العربيّ، والذي نُعِتَ بوجود اختلالات اصطلاحيَّة، واضطرابات نسقيَّة على مستوي علاقة المصطلح بالمفهوم تارةً، وتداخل دلالاتها التعريفيَّة، وعدم انسجامها تارةً أخرى، بل ظهرت آراء تدعو إلى إلغاء نظريَّة العامل، وحذف بعض أبواب النّحو، وما يندرج فيها من مصطلحات ومفاهيم – بحسب زعمهم – أنَّها أضرت بالنَّحو وأفسدته، وقد جاء هذه الانتقادات ضمن سياق الدعوات لتيسير النحو وإصلاحه، ومن الكتب التي سعت إلى تيسير النحو العربي نذكر منها: (إصلاح النحو) لإبراهيم مصطفى، و(تجديد النّحو) لشوقي ضيف، و(إحياء النّحو) لعبد الوارث سعيد، و(النّحو الجديد) لبعد المعتال الصعيدي، و(نحو التيسير) لأحمد عبد الستار الجواري وغيرها.

هذا، ويرى بعضُ الدَّارسين المحدثين أنّ" محاولات التَّيسير الَّتي ظهرتْ في الكتب المدرسيَّة حديثًا لم تُقَدِّمْ جديداً، ولم تفعل شيئًا يُعِيدُ للنحو حيويته؛ لأنَّها لم تُصَحِحْ وَضْعًا، ولم تُجدِّدْ منهجًا، ولم تأت بجديد إلَّا إصلاحًا في المظهر، وأناقة في الإخراج. أما القواعدُ فَقَدْ بَقيتْ على حالها كما ورثناها، حتى الأمثلة لم يصبها من التجديد إلا نصيب ضئيل"[1] وقد **علَّلَ زكرياء أرسلان** قصور هذه الانتقادات؛ لأنّها كانت مبنيَّة على مقاييس حالمة وموغلة في المثاليَّة، والتي نادت بها النظريَّة المصطلحيَّة العامة (**Théorie générale de terminologie**)♦، والتي تدعو إلى الاحتكام إلى مقاييس اصطلاحيَّة محددة نذكر منها: **الدّلالة الأحاديَّة** (**Monosémie**)، **والمطابقة** (**Adéquation**)، و**الاستقلاليَّة**

(Indépendance)، والكتابة المعياريَّة (Ecriture standard)، والإيجاز (Concision)، وغيرها مما هو في أصله من مخرجات نقاشات فلاسفة حلقة فينا (Cercle de vienne)[2] غير أنّ البحث المصطلحي اليوم صاحبه تطورًات عميقة وواسعة تجاوزت فيها المقاييس الكلاسيكيَّة التي قامت على الخاصيَّة المنطقيَّة، وذلك لأجل تحقيق البعد التقييسي.

وفي مقابل ذلك، نجد أنَّ النظريَّة المصطلحيَّة الحديثة ترى ضرورة النظر إلى المصطلح ضمن بنيته النَّصيَّة والنسقيَّة التي يرد فيها؛ إذ لا تُوجد مصطلحات خارج نصوصها ومجالها التداولي، وهذه الحقيقة تُفضي بنا إلى اعتماد المجال النَّصيّ والعلائقيّ والتَّواصليّ عند تحليل المصطلحات النَّحويَّة وتحديد مفاهيمها، باعتبار أنَّ قيمةَ المصطلحِ تكمنُ في اندراجِه في نسقٍ مصطلحيّ لا يمكنُ تجاهله في التَّعامل معه، ولا يملكُ القدرة على الاستقلال عنه.

لذا، جاء هذا البحث ليُقدّمَ تصوراً نظريًّا وتفسيراً إجرائيًّا لبنية النسق المصطلحي في كتاب **سيبويه (ت180هـ)**؛ ذلك أنَّ النّحو العربي هو بمثابة **دار محكم البناء**، اكتسب قوانينه ومفاهيمه من خلال ترابط أجزائه، وتلاحم أركانه، فهو يَبنِي بعضُهُ بعضاً، وهذا ما أَلْمحَ إليه **الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)** حينما أراد توضيح حقيقة النحو؛ حيث اعتباره كالدَّارِ المرتبطة أركانها بأجزائها، وفي ذلك يقول: "فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل دَاراً محكمة البناء، عَجِيبَةُ النَّظمِ والأقسامِ، وقد صحّت عنده حكمة بَانِيهَا بالخبر الصَّادق، أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلّما وقف هذا الرَّجل في الدَّار على شيء منها، قال: إنَّما فعل هذا لعلة كذا وكذا، ولسبب كذا وكذا. سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أنْ يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أنْ يكون فعله لغير تلك العلة" [3] .

لذا، يبدو أنّ النَّسق التَّعليليّ عند **الخليل وكذلك تلميذه سيبويه** قائم على **المقارنة والموازنة** في حدود ما نطقت به العرب، قصد وصفه وتفسيره وتجريده في شكل قواعد نحويَّة يَضبط بها الأداء اللُّغويّ السَّليم، معتبراً أنَّ تغيّرَ حركات الإعراب ليستْ وَضْعاً اعتباطيًّا تقعُ دون وجود أسباب معنيَّة تُؤدي إلى حدوثها وتغييرها، بل إنَّها خاضعة لتأثير عوامل لغويَّة منها مَا هُو ظاهر، ومنها ما هُو معنوي، ومنها ما هو محذوف، أو مفترض، وهذا كلّه يُنْشِئُه الانتظامُ التَّركيبيّ للكلمات، وكذلك حال المقام التّخاطبيّ بين المتكلمين، فكلاهما يَتَحَكَّمَان في نوع التَّركيب اللُّغويّ المنجز، وهما بذلك يُقدِّمان لنا منهجيَّة خاصّة مبنيَّة على التّعليل التَّرابطيّ للجملة، مع استحضار الأسباب المعقولة الّتي تُشبه عَمَلَ الباني للدار حينما يقومُ بتفسير حسن صَنِيعِه في بناء البيت، وتقسيم بنيته الدّاخليَّة، وهذا التَّصور البِنائيّ

والنَّسقيّ في جوهره تَأَسَّسَ عليه مختلف التَّعليلات النَّحويَّة؛ إذْ لا يتم تعليل جزء منها إلى بالنَّظر إلى ما يرتبط بها من علاقات إسناديَّة .

وهكذا، فالنَّحو العربيّ محكومٌ بقوانين كليَّة وجزئيَّة مترابطة، يُكمِّلُ بعضُهَا بعضًا في مسلك تعاونيّ مُثمر؛ بحيث لا يكتمل التَّفسير النَّحويّ للتراكيب اللُّغويَّة إلَّا بفهم جميع عناصرها المؤلفة للبناء اللُّغويّ، ضمن نسق يَأْتَلِفُ كلُّ جزءٍ مع غيرها بعلائق تركيبيَّة وسِيَاقيَّة ودلاليَّة تضمن تحقيق الفهم والإفهام بين المتكلمين.

ومن أجل بيان ذلك، يتجه البحثُ نحو الإجابة عن الإشكالية التالية: كيف أثَّر النَّسق الاصطلاحي في بناء المفاهيم النحوي وتعريفها عند سيبويه؟ وقد تفرّعت عن هذه الاشكالية أسئلة فرعية تمثلت فيما يلي: ما حقيقة النّسق الاصطلاحي؟ وما وظائفه التأصيلية في الصناعة المصطلحات النّحوية؟ وفيم تتمثل آلياته النسق الاصطلاحي في كتاب سيبويه؟

1- بنية النَّسق النّحويّ: المفهوم والخصائص:

لقد سعى النّحويون الأقدمون إلى تحديد موضوع النحو من خلال تحليلهم للظواهر التركيبيَّة للغة العربيَّة، وبناء نسق مفهومي واصف ومفسر لمختلف البنى التراكيبيَّة،مما مكّن من تحقيق صفة النَّظريَّة النَّحويَّة، فكان دور النّحوي هو الكشف عن النَّظام الدَّاخلي الذي يحكم كلام العرب، بناءً وإعرابًا ضمن نسق عام، يسعى من خلاله إلى تحقيق التَّجانس والإتلاف بين القواعد وعدم تناقضها. مُحقّقًا بذلك ما يُعرفُ بالنّسق الاصطلاحي، وهذا ما يفرض علينا أن نتساءل : ما مفهوم النسق الاصطلاحي؟، وما هي مظاهره وخصائصه في التفكير النحوي؟

1.1-دلالة النّسق في اللُّغة والاصطلاح:

1.1.1- دلالة النَّسق في اللُّغة:

تدلُ كلمةُ النَّسق في المعجمِ اللُّغويّ العَام على التّتابعِ والتَّلاحقِ والنَّظامِ والتَّناسقِ الَّتي تسلُكُ فيه الأشياءُ مَسْلكاً واحدًا، ويتْبعُ بعضُهُ بَعْضًا في ترابط وانسجام، وقد أورد **ابْنُ فَارس(395هـ)** هذا المعنى في **مقاييس اللغة** بقوله: "النُّونُ وَالسِّيْنُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيْحٌ يَدلُ على تَتَابُع فِيْ الشَّيءِ. وكَلَامٌ نَسَقٌ: جَاءَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ قَدْ عُطِفَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. وَأَصْلُهُ قَولُهُمْ: ثَغْرٌ نَسَقٌ إِذَا كَانَتِ الأَسْنَانُ مُتَنَاسِقَةً مُتَسَاوِيَّة. وخَرَزٌ نَسَقٌ : مُنَظَّمٌ، قَالَ أَبُو زبيد:

بِجِيدٍ رِيمٍ كَرِيمٍ زَانَهُ نَسَقٌ يَكَادُ يُلْهِبُهُ اَلْيَاقُوتُ إِلْهَاباً "[4]

وليس ببعيد عن هذا المعنى ما أورده **الزمخشري (ت538هـ)** في **معجمِ أساس البلاغة** على أنَّ النّسقَ هو نظامٌ محكمٌ للأشياء، أو هو عبارة هيئة وترتيب متتابع تعطي دلالة محدَّدة في الشَّكل والمضمون، كانتظام الدُّر في العقد على شكل معين، أو رؤيَّة ترتيب كواكب الجوزاء على صورة محددة، أو غرس النَّخل على تسلسلٍ واحدٍ، وفي ذلك يقولُ: "نَسَقٌ: نَسَقَ الدُّرَّ وغيره وَنَسَّقَهُ، وَدُرٌّ مَنْسُوقٌ وُمُنَسَّقٌ وَنَسَقٌ، وتنسَّقَتْ هَذِهِ الأَشْيَاءُ وَتَناسَقتْ ومن المجاز: كلامٌ مُتَنَاسِقٌ، وَقَدْ تَنَاسَقَ كلامُهُ، نَسَقاً. وغرِسْتُ النَّخْلَ نَسَقاً، ويقال لكواكب الجوزاء: النَّسَقُ"[5] والنَّاظر في هذا المعنى يَجِدُ أنَّ **الزمخشري** جَعَلَ الأصلَ في استعمالِ كلمة **النَّسق** أنْ تُسَاقَ لوصفِ الشَّيء المتلاحق والمنتظم على منوال واحد سواء أكان على وجهةِ الحقيقة أم على وجهةِ المجاز.

أما **ابن منظور(ت711هـ)** فقد ذكر هذا المعنى وزيادة، وفي ذلك يقول: " النَّسَقُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: مَا كانَ على طريقةٍ نِظَامٍ واحدٍ، عامٌ في الأشياء، وقد نَسَّقْتُهُ تَنْسِيقاً ويخفف. **ابن سيده** : نَسَقَ الشّيءَ يَنْسُقُهُ نَسْقًا ونسقه نظَّمه على السواء، وانْتَسَق هو تَنَاسق، والاسم النَّسَقُ، وقد انْتَسَقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسقَتْ. والنَّحويُّونَ يُسمون حروف العطف، **حروف النَّسق**؛ لأنَّ الشَّيءَ إذَا عَطَفْتَ عليه شَيْئاً بعده جَرَى مَجرَى وَاحِداً "[6] .

كما يستعملُ مَصْدَرَ تَنْسِيق للدلالة على تنظيم الكلام المسترسل الذي يلحق بعضُه بعضًا في نسق صوتي مسجوع؛ بحيث يَرِدُ مُتَلَاحقًا ومُنْسُوجًا على نمطٍ واحدٍ، وقد أورد هذا المعنى **ابن منظور** بقوله: "والتَّنسِيق: التنظيم، والنّسق: ما جاء من الكلام على نِظام واحد، والعرب تقول لطّوار الحبل إذا امتد مستوياً: خذ على هذا النسق؛ أي: على هذا الطَّوار، والكلام إذا كان مسجُعاً، قيل: له نَسَقٌ حَسَنٌ. **ابن الأعرابي** أَنْسَقَ الرجلُ إذَا تكلَّمَ سَجعاً. والنّسَقُ: كواكب مصطفة خلف الثريا، يُقَال لها: الفرود. ويقال: رأيتُ نَسَقاً من الرجال والمتاع؛ أي: بعضها إلى جنب بعض"[7].

وهكذا، فإن **النسق** في **معناه اللغويّ** يدلُّ على انتظام الأشياء واصطفافها ضمن نظام مُرتَّبِ ومحكم البناء يُفضي بعضه إلى بعض، وتتعالقُ عناصره فيما بينها، ليُشَكِّلَ بنية كليَّة مُتسقة لا يَنْفَكُ بَعضُها عن بعضٍ؛ كعناصر الكلام الموزون المُقفى الذي تترابط وحداته اللّغويَّة ضمن أوزان صوتيَّة مُنسجمة ومُتَناغِمة، تُحدثُ إيقاعًا مُوسيقيًّا مُتَّزِنًا. وهذه المعاني نجدُ ظِلالَها وآثارَها في مختلف التّعريفات الاصطلاحيَّة الْمُقَدَّمَةِ للنسق.

2.1.1- دلالة النَّسقُ في الاصْطِلَاحِ:

لقد اختلفت تعريفاتُ النّسَقِ - في سياقِها المعرفيّ والتّداوليّ- بحسب الرُّؤى النّظريَّة والفلسفيَّة والمرجعيات العلميَّة المتعددة، الّتي أسهمتْ في توجيه دلالته الاصطلاحيَّة، وتعدُّد مضَامينه المفهوميَّة غير أنَّ معظمَها تدور حول فكرةٍ رئيسةٍ مفادها؛ أنَّ مفهوم النّسق يعتمدُ على وجودِ بناءٍ فكريّ معين أو نظام معرفيّ مُوَحَدٍ، يتألَّفُ من وحدات مفهوميَّة مترابطة ضمن إطار تصوريّ متناسق ومنسجم لا ينفكُ بعضُه عن بعضٍ، واندراجُ جميعُها في بنيَّة نسقيَّة محددة، يُؤَطِّرُه مفهومٌ كليٌّ واحد، مركب من وحدات معرفيَّة؛ كالفروض، والقضايا، والتّصورات، والمفاهيم، والنّظريات، وكلها تُشكلُ إطاراً تصوريًّا مترابطاً ومتَّسِقاً مَنْطِقِياً، يحكمُهُ منهجٌ يعملُ على الإحاطةِ بسائرِ وُجُوهِهِ.

وتعني كلمة النسق(**système**) في اليونانيَّة القديمة (**sustēma**)،التنظيم والتركيب والمجموع. ومن ثم، فهي تحيل على النظام والكليَّة والتنسيق والتنظيم، وربط العلاقات التَّفاعليَّة بين البنيات والعناصر والأجزاء. ومن ثم، فالنَّسق عبارةٌ عن نظام بنيوي عضوي كليّ وجامع[8] .

لقد ظهرتْ العديدُ من المحاولات الّتي تسعى **لتعريفِ النَّسق** وهي محاولات تفاوتت في دقتها ووضوحها من باحث لآخر. ولعل أفضل هذه التعريفات للنسق هو ذلك الذي قدّمه **هارتمان ولاريد (Hartman & Larid)**؛ إذ يقول: "وهذا الكل المتألِّف من أجزاء متداخلة فيما بينها؛ حيث يعتمد بعضها على بعض"[9]، كما عملت نظرية النحو النسقي ضمت إطار اللسانيات النسقية على ثلاثة مفاهيم رئيسة يقوم أحدهما على الآخرى وهي (**الوظيفة**) و(**النسق**) و(**البنية**)

وبناء على ما تقدم ذكره نجد أن النسق في الاصطلاح العام هو النظام الذي يتألف من وحدات منسجمة مترابطة تكمل بعضها بعضاً ضمن علاقات لزومية، يحدد الإطار النظري الواصف والمفسر تلك الانتظامات بين عناصر المؤلفة للكل.

3.1.1- مفهوم النسق المصطلحي النحوي:

يَدلُ النسق المصطلحي النحوي في علم النحو على وجودة بنيَّة معرفيَّة سابقة، تتألف من مجموع العلاقات التركيبية والتعليلية والدلاليَّة، التي تأسست على أصول نحوية، وقواعد لغوية، واستنباطات نحوية مشتركة، وكلها ترتبط في شَكْلِ وحدة كلّيَّة مجردة، أو نظام اصطلاحي موحد، أو جهاز مفهومي مترابط؛ بحيث تنشأ عنها ارتباطات مفهوميَّة بين المصطلحات وهذا ضمن مجال علمي محدد، وتسند في ذلك إلى أن كلَّ وحدة مصطلحيَّة نحوية يتوقف وجودها المفهومي على وحدات اصطلاحيَّة سابقة، يحكمها نسقٌ أو

منظومةٌ مستقلة، حقل مفهومي مشترك، مما يضمن لها الاتساق والتكامل بينها، متجاوزةً بذلك مظاهر التناقض وأشكال التعارض التي قد يصيبها.

ومن هنا، فإن النسق المصطلحي النحوي يعبر عن وجود وحدة اصطلاحيَّة ناظمة، ومفسرة لمختلفة العلاقات المفهوميَّة والمتعلقة بالبناء التركبي للغة العربيَّة، والتي أقامها النحويون لأجل تأصيل الظواهر النحويَّة، وتقعيد قواعدها، وتعليل أحكامها، فمن خلالها يمكن أن نلج إلى الأسس النظريَّة، وسبر أغوار الآليات المنهجيَّة التي وجهت عمليَّة الاصطلاح النحوي تسميَّة ومفهوماً وتعريفاً، فهي منيَّة على علاقات نسقيَّة تربط بين الوحدات الاصطلاحيَّة فيما بينها وفق رؤيَّة ***نسقيَّة*** مفادها أن المصطلحات النحويَّة تخضع إلى انتظامات مفهوميَّة يفضي بعضه إلى بعض.

2- دور الإسناد النسقي في الاصطلاح النحوي:

ولاشك في أن مدار النسق النحوي إجمالا يقوم على فهم تأليف الكلام العربي، من اسم وفعل وحرف، وبيان الصلات التركيبيَّة التي تجمعها، وكشف نوع الارتباطات الإسناديَّة التي تُؤلف بين عنصر وآخر؛ حيث تستبطنُ ضِمنيًّا فكرة العامل المنشئ للتغيّرات الإعرابيَّة الحاصلة في أواخر الكلم؛ من رفع ونصب، وجر ، وجزم، مما يفضى إلى ظهور مفاهيم نحويَّة يتعالق بعضها في بعض، ضمن نسق مفهومي يجعل المصطلحات النحويَّة في وحدة كليَّة جامعة، تتكامل فيما بينها.

ولقد تَبَيَّن لنا أن النسق الاصطلاحي النحوي قائمًا في جوهره على تنسيق انتظام الوحدات اللغويَّة الأولى في بنية جُمَلِيَّة مخصوصة سلفا؛ يحكمه نظام اللغة الثوى في اللسان العربي؛ ومن ذلك ما نجده في مصطلح الإسناد الذي يُعدَّ أحد المفاهيم النحوية الرئيسة التي عملت على تكوين أهم المضامين علم النحو فهو يحمل صبغة نسقيَّة؛ باعتبار أنَّ الجملة في اللغة العربية تقومُ على نسق ارتباطي بين المسند والمسند إليه، فهما لا ينفك أحدهما عن الآخر؛ كما نجد دلالاتهما ممتدة في معظم الأبواب النحويَّة؛ فالنّحوي ينظر إلى الجملة باعتبارها علاقات تركيبيَّة كعلاقة الفعل بالفاعل، وعلاقة المبتدإ بالخبر، وعلاقة واسم كان بخبرها، وعلاقة اسم إن بخبرها، وغيرها من العلاقات النحويَّة، وقد أطلق الأشموني على الإسناد اسم (التأليف)، أما أبو حيان الأندلسي (ت745هـ) فقد سماه (الارتباط).

ومن ثم، فإن الإسنادُ هو مفهوم نحوي مبني على التأليف والتركيب والارتباط بين الكلمات؛ بحيث تنضم الكلمة إلى كلمة أخرى على وجه يفيد الحكم بإحداهما على الآخر ثبوتا أو نفيا، كما لا يستغنى أحدهما عن الآخر؛ لذا نجد أن **سيبويه** عقده له بابا سماه **(هذا باب المسند والمسند إليه)**، وفي ذلك يقول: "وهما ما لا يَغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا. فمن ذلك الاسمُ المبتدأ والمبنيُّ

عليه. وهو قولك عبدُ اللهِ أخوكَ، وهذَا أخوكَ. ومثل ذلك: يذهبُ عبدُ اللهِ، فلا بدَّ للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأوَّل بدٌّ من الآخر في الابتداء"[10] .

وتجدر الإشارة – في هذا السياق– إلى أنَّ سيبويه يطْلقُ على المبتدأ (المسند)، والخبر هو (المسند إليه)؛ لأنّه في **(باب الفاعل)** ويأتي بمصطلحين آخرين هما: الاسم المتحدّث عنه **(الفاعل)**، والآخر هو المتحدث به، ولم يقل: إنه الفعل، بل الدّلالة المجردة من الزمن؛ أي **(المصدر)**. والذي يُفهم من كلام سيبويه في موضع آخر أن الأصل أن يكون هنالك مبتدأ في كل الكلام، ثم يدخل عليه الناصب والجار وغير ذلك[11]، ويقول سبيويه في موضع آخر : "المسند هو الجزء الأول من الجملة، والمسند إليه الجزء الثاني منها"[12]. غير أن الكثير من النحويين ذهبوا إلى أن المبتدأ هو **(المسند إليه)** والخبر هو **(المسند)**، وهذا الخلاف يعود إلى أن الخليل وتلميذه سيبويه اعتبروا أن الإسناد ذو طبيعة معنويَّة لا لفظيَّة تركيبيَّة.

فالعلاقة الإسناديَّة هي بنية تركيبيَّة وضمنيَّة؛ تتوزع على ثلاثة أنواع بحسب ما ذهب إليه أبو حيان الأندلسي (ت745هـ)؛ فأولها: النسبة الإسناديَّة، وقد مثلها بعلاقة الفعل بالفاعل، والمبتدأ بالخبر. وثانيها: النسبة التقييديَّة، فقد مثلها بالمضاف والمضاف إليه، والنعت بالمنعوت، والبدل بالمبدل منه. وثالثها النسبة العامليَّة: وهي التي تفسر العمل من رفع، ونصب، وجر. نحو: ضَرَبَ زَيدٌ عمراً، فهي التي بربط بين الفعل والمفعول به أو الفعل بالفاعل[13].

وقد اشتغل النحويون كثيرا بمفهوم الإسناد ووسع فيه البحث باعتباره يَنتظمُ فيه مختلف أنواع الجمل التي تتألف من ركين اسم يتحدث عنه، وكلمة بتحدث بها ذلك الاسم، فكلهما مرتبط بالآخر

ومثال ذلك: حُكْمِكَ على زيدٍ بالاجتهاد، في قولك: زيدٌ مجتهدٌ، والمحكوم به يُسمى **(مسندًا)**، والمحكوم عليه يُسمى **(مسندا إليه)**، وقد يضاف إليهما كلمات أخرى غير أساسيَّة التي يسميها النَّحويون **(فضلات)**. **وهكذا، فإن عناصر الجملة** العربيَّة تتكون من ركنيين أساسيين:

أما الأول فهو المسند إليه؛ ويقصد به ما لا يستغني عن المسند "ولا يجد المتكلم منه بدا"[14] وهو الجزء المحكوم عليه **كالفاعل ونائب الفاعل** في الجملة الفعليَّة، **والمبتدأ** من الجملة الاسميَّة، ما كان أصله مبتدأ وخبر، ولا يكون إلا اسمًا. ومثال ذلك:

- **حضر <u>الأستاذ</u> (الأستاذ هو المسند إليه، أما موقعه الإعرابي فهو فاعل) .**
- **<u>الأستاذ</u> قادم. (الأستاذ هو المسند إليه، أما موقعه الإعرابي فهو مبتدأ).**

وأما الثاني فهو المسند؛ ويقصد به اللفظ الذي لا يستغني عنه مسند إليه،" ولا يجد المتكلم منه بدا"[15]، **وهو** الحكم المراد إسناده إلى المحكوم عليه، فهو في الجملة الفعليَّة الفعل، وفي الجملة الاسميَّة الخبر، وقد يكون المسند في قوة الفعل كاسم الفاعل، والمصدر، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، وأسماء المبالغة، وأسماء الأفعال.

وقد قسّم النحويون الإسناد إلى أصلي وغير أصلي:

- **أما الإسناد الأصلي؛** فهو ما يتألف منه الجملة التامة **(الإسناديَّة)** كإسناد الخبر إلى المبتدأ، ولابد أن يكون المبتدأ اسماً أو ضميراً، والخبر يكون هو المسند، كما يمكن أن يكون وصفا مفردا أو جملة اسميَّة أو فعليَّة، ويرد الخبر كذلك شبه جملة؛ أي: (جار ومجرور أو ظرف) على رأي بعض النحويين.

- **وأما الإسناد غير أصلي؛** فهو إسناد المصدر أو وصف كـ(اسم الفاعل أو الصفة المشبهة أو صيغ المبالغة أو اسم المفعول) إلى اسم مرفوع أو ضمير منفصل، نحو: أناجح الطالبان، ما حاضر الأسناذ، ما محبوب الخائن.

وعليه، فإنَّ الجملةَ العربيَّة تتألَّفُ من ركنيين أساسيين هما: **المسندُ والمسندُ إليه**، وهما عمدتا الكلام، ولا يمكن أنْ تتألّف الجملة من غير مسند ومسند إليه، ففي الجملة الفعليَّة يكون الفعل أو الفعل المبني للمجهول مسندًا، والفاعل أو نائبه المسند إليه. أما في الجملة الاسميَّة، فيكون المبتدأ مسندًا إليه، والخبر مسندًا، أو ما كان أصله مبتدأ وخبر، وهو الجزء المحكوم عليه. ويمكن تمثيل التعالقات الإسناديَّة في الترسميَّة التاليَّة:

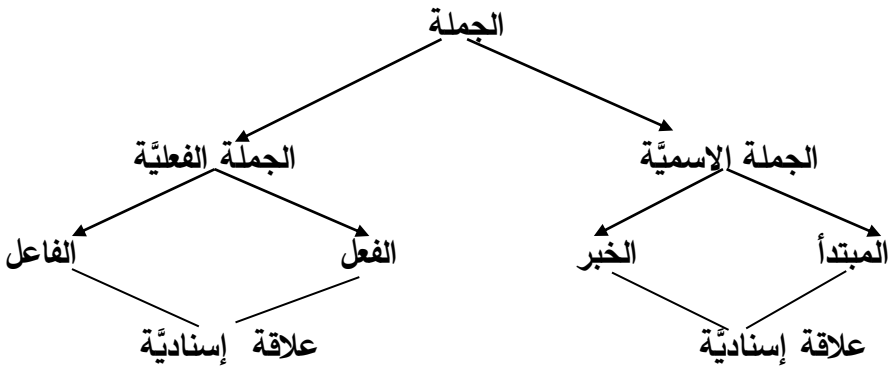

3- وظيفة النسق العاملي في الاصطلاح النحوي:

لقد شكل حضور العامل في الدرس النحو ي أساسا نظريًّا وتفسيرًا مهماً؛ لأجل تحليل البنى اللغويَّة وتعليل أحكامها، وهذا الحضور لا يقف عند مستوى معين، ولا يركن إلى زاويَّة معرفيَّة خاصة، بل يمتد إلى صياغة المفاهيم الكليَّة المتمثلة في قضايا السماع والورود. ومسائل القياس وبيان مظاهر الإعراب

وصلتها بالتراكيب؛ أضف إلى ذلك أن تصور العمل عند النحويين الأوائل كان مبنيا في جوهره على أن تغير الحركة الإعرابيَّة بكيفيَّة معنيَّة (ضمة، وفتحة، وكسرة، .... إلخ) وهذا ما جعلهم يقولون بوجود "عمل العناصر اللغويَّة بعضها في بعض لا على وجه الحقيقة، بل على وجه العلاقات الثابتة بينها في تلازمها"[16] وقد تولد عن هذا التصور العلائقي النسقي بين الكلمات مفاهيم عقليَّة وقياسيَّة، وُظِّفتْ في تعليل الأحكام النحويَّة، والاستدلال على وجودها.

أما إذا نظرنا إلى نظريَّة العمل في سياقها الكلي، فهي تعد منطلقا نظريا وأساسا تفسيريا تقوم على أسس لسانيَّة، ومنهجيَّة وعقليَّة، تُوصل لنا البناء التصوري والإجرائي التي اعتمده النحويون في استنباط القواعد اللغويَّة، وتعليل كل ما يخرج عن ذلك من تنوعات لغويَّة، وأنماط تعبيريَّة شائعة أو شاذة، مما نتج عن ذلك مصطلحات نحويَّة كليَّة وأخرى فرعيَّة.

لذا، يعد مفهوم العمل النحوي من المفاهيم المركزيَّة التي أسهمت في توليد المفاهيم النحويَّة الفرعيَّة؛ بل يمكننا أن نعتبر فكرةَ العملِ هي جوهر النظريَّة النحويَّة التي تقوم بتفسير الكلام العربي وتقعيد مسائله، إذ تفرع عنه مصطلحات نحويَّة جزئيَّة يحكمها نسق تعليلي متكامل، من ذلك نذكلا: العامل والمعمول، وأحوال الإعراب وعلاماته كالرفع، والنصب، والجر، والجزم ،

كما أن سيبويه يحدد لنا خواص الفعل بحسب أقسامه وإدراجه في البناء التركيبي، وما يُحدِّثُه من أثر إعرابي، مستند في ذلك إلى فكرة العمل، التي تحدثه الكلمة في كلمة أخرى، فيظهر أثر ذلك في عمل الفعل المتعدي، وظهور الحركات الإعرابيَّة كرفع الفاعل، ونصب في المفعول به ضمن علاقة ترابطيَّة لزوميَّة وفي هذا السياق يقول: " وإنما ذكرت لك ثمانيَّة مجار لأفرق بينما يدخلها ضرب من الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيء منها إلا يزول عنه وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين"[17]فتصور سيبويه للفعل كان مبينا على فكرة العمل، فهو يرى أن الفعل عامل يجلب الأثر الإعرابي في رفع الفاعل، وبمعنى آخر أن الفاعل مرفوع بعلة إسناده إلى الفعل.

ومن ثم، فقد بات واضحاً أنَّ فكرة العمل في النظريَّة النحويَّة العربيَّة ذات أثر كبير في التكوين العلاقات التركيبيَّة وإحداث الآثار الإعرابيَّة والبناء المصطلحات النحويَّة؛ حيث يجعل المعمولات مهما كانت نوعها مرتبطة بالعوامل ضمن وحدات تركيبيَّة ملازمة؛ فالخبر معمول مبني على المبتدأ، والمبتدأ ملازم ومبني على الابتداء.

وقد استثمر عبد **الرحمن الحاج صالح** فكرة العمل في تأسيس النظريَّة الخليليَّة؛ فهو يرى أن العمل أساسه الأحداث التي تتضمنها الألفاظ، وهي التي تحدث تأليف الكلام ضمن علاقات تركيبيَّة ودلاليَّة بحيث يندر ج كل عنصر لغوي في سياق متسلسل.

فالعمل النحوي يتمثل في العامل والمعمول التي تحكمها علاقة تعليق كما يسميها الخليل؛ ومعنى ذلك أن الصلات القائمة بيمهما هي علاقة بناء بمنزلة الاسم على المبتدإ[18] .

وهذه النظرة لا تقتصر على تحديد العناصر اللغويَّة في حد ذاتها، بل تتجاوز إلى البحث في العلاقات التركيبيَّة؛ وذلك بإجراء الشيء على الشيء، وحمل العنصر على الآخر ، فهو لا يكتفي بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو جموع الصفات، بل يتجاوزون ذلك بإجراء عنصر على آخر ؛ أي جعل علاقة مباشرة بين العناصر التي وتوجد بين مجموعتين على الأقل لاستنباط البنيَّة التي تجمعها جميعا، وقد أوضح هذا المعنى **عبد الرحمن الحاج صالح** بقوله: " أما النحويون العرب فلم ينكروا وجود مثل: الحرف والكلمة كما مرّ بنا، وكل واحد منها قطعة من الكلام كمكونات مسموعة للكلام تُدرك مباشرة في درج الكلام كوحدات. غير أنهم ينفرون من اعتبارهما قطعة محضة بل يفضلون اعتبارها كأبعاض لما فوقها"[19] ومعنى ذلك، أنّ فهم الوحدات اللغويَّة المُشَكِّلَة للبنى النحويَّة يتم من خلال إدراك النّحوي لطريقة اندراجها في الكلام المسموع، وتعالق بعضها ببعض ضمن مناويل تركيبيَّة محددة، ويتّضح لك– بصورة واضحة– في تعريف **الزجاجي** للحرف، فقد نظر إليه على أنه جزء من الكلام أو بعض منه، فلم يفصله عن علاقته التركيبيَّة بل هو منسوب إلى الكلم، وفي ذلك يقول: "أما الحروف فهي أبعاض الكلم، فالبعض حد منسوب إلى ما هو أكبر منه، كما أن الكل منسوب إلى ما هو أصغر منه"[20]، وليس ببعد عن المفهوم للحرف ما ذكره ابن جني بقوله: "الحرف هو طرف وناحيَّة في الكلمة "[21] كما يورد معنى آخر للحرف، فيقول:" ويجوز أن تكون سُميت الحروف حروفا؛ لأنها جهات للكلم ونواح"[22] إذ نجد في معظم التعريفات النحويَّة للحرف على أنها قائمة على العلاقة الاندراجيَّة وصلاتها بالبنيَّة الكليَّة للكلام.

وقد وأضح **محمد محمود بن محمد الأمين** أنَّ النَّحويين نظروا إلى العناصر اللُّغويَّة على أنَّها تدور – ضمنيًّا – حول نفسها على محورين: **الأول أفقي**؛ يمثله مفهوم **(العمل)**؛ وذلك عند تركيب الكلم من اسم، وفعل، وحرف، **والثاني: عمودي** يمثله مفهوم **(الأصل)** الذي يؤطر جميع التنظيرات النحويَّة والصرفيَّة والصوتيَّة[23]. أضف إلى ذلك، أنَّ معظم النحويين كانوا يتوسلون بالعامل في تعليل مختلف الظواهر النحويَّة؛ كما أنَّ العامل يدور فيه مصطلحات العمل والمعمولات التي تولّد عنها مصطلحات

النّحو من إعراب وبناء وما يندرج تحتها من: رفع ونصب وجر وجزم، والتي تمثلت في المبتدأ والخبر والمفعول والحال والتميز والمضاف والمضاف إليه والأفعال بأزمنتها الثلاثة وغيرها من المصطلحات.

وهكذا، فإن قوام النسق الذي يحكم التأصيل الاصطلاحي هو أن النحويين قاموا باستقراء العناصر اللغويَّة الفاعلة التي تُحدِّث أثرا إعرابيا في أواخر الكلم، شريط أن تتصف هذه العناصر بصفة الاطراد والثابت فأطلقوا عليها مصطلح (الأصل). فقد جعل جمهور النحويين أن الأصل في العمل للأفعال، ثم الحروف. أما الأسماء فالأصل فيها ألا تعمل، وما يعمل منها فإنما هو فرع عن العمل أحدهما الفعل أو الحرف، وفي هذا السياق يقول **ابن النّحاس** في التّعليقة: " الأفعال أصل في العمل من حيث كان كُل فِعلٍ يقتضي العمل، أقله في الفاعل، وللحرف المتخصص أصالة في العمل من حيث كانت إنما تعمل لاختصاصها بالقبيل الّذي تعمل فيه. (...) فكان الحرف المختص عاملا بأصلته في العمل لذلك، ولا كذلك الاسم؛ فإنه لا يعمل منه شيء إلا بشبه الفعل أو الحرف (...) ومعنى الأصالة أن يعمل بنفسه لا بسبب غيره"[24].

وهكذا شكّلت فكرة العمل منطلقاً نظريا وأصلاً تأسيسيًّا في وضع القواعد الكليَّة، وبناء التصورات الاصطلاحيَّة، ووضع الأبواب النحويَّة، وما تفرع عنها من أقسام أو مسائل جزئيَّة؛ إذ جعلوا الفعل أصل في علاقته مع فاعله ومفعوله من جهة الإعراب والمعنى باعتبارهما اسمين كانا فرعين في العمل وأصلين في المعموليَّة؛ لأن الاسميَّة أكثر احتمالا للمعاني المتنوعيَّة في التركيب، فهو الذي يعبر عن الإسناد والفاعليَّة والمفعوليَّة، والغايَّة، والزمان، والمكان، والهيئة، والتفسير، والتأكيد، والاستثناء، والحال والصفة.... وهلم جرّا وهذا بخلاف الحرف والاسم.

ويتضح مما سبق بيانه، أنّ بعض المفاهيم النحويَّة تكونت دلالاتها الاصطلاحيَّة في إطار الجملة الفعليَّة التي يحكمها نسق عاملي أسسه الفعل باعتباره هو أصل العمل، وكلّ العوامل محمولة عليه، ذلك أن مفهوم العمل يشأ ضمنيا من خلال علاقات ترابطيَّة نحويَّة تجمع بين العامل وهو (الفعل) ومعموليه، وهما (الفاعل والمفعول به)، مما يحيل على خصائص تركيبيَّة للغة العربيَّة، كما تمنح تسميات اصطلاحيَّة تضبط نسقيَّة المفاهيم النحويَّة، وتفسير نمط استدلالها، وتكشف خصوصيتها التعليليَّة. ويمكن تمثيل التصور للنسق المصطلحي للعمل وما تفرّع من مصطلحات فرعيَّة في هذه الترسيمة التوضيحيَّة:

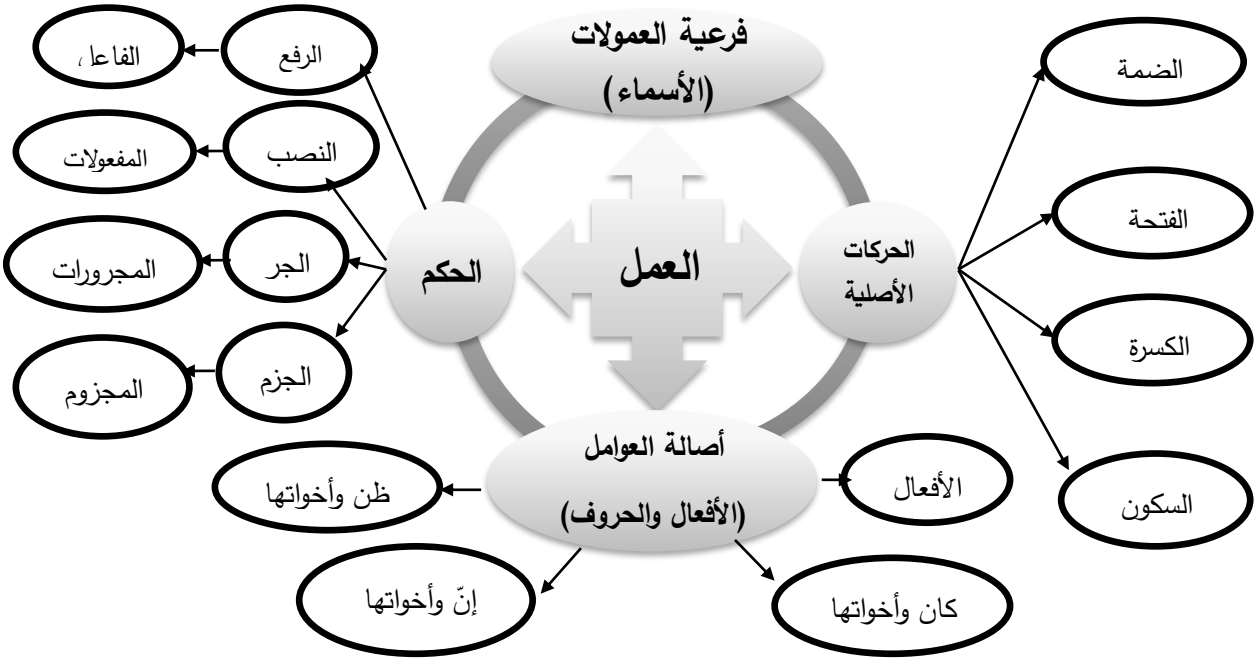

4- تمثلات الأنساق الاصطلاحيّة في كتاب سيبويه:

إنَّ الدّارسَ لبنية كتاب **سيبويه** على صعد المنهج والمفاهيم يجدها أنَّها تأسستْ على خلفية تصورية مبنيّة على علاقات نسقيّة اصطلاحيَّة مترابطة؛ إذ لا يُحدّد مفهوم نحوي إلّا بوجود مفهوم آخر مرتبط معه بأيِّ شكل من أشكال التَّرابط والتَّعالق فيما بينها، ويكمن أنْ نمثِّلَ بعضَ الآليات النسقية التي تحكم بناء الصلات المفهومية والاصطلاحية في كتاب سيبويه:

أولا- البناء النسقي للباب النحوي:

وقد قام منهجنُا في تمثيل بعض مظاهر النسق مصطلحي النحوي في كتاب سيبويه من خلال استصحاب بعض المفاهيم النظريَّة المتعلقة بالدراسة المصطلحيَّة، وفي مقدمتها **النسق الاصطلاحي** أو النسقية المصطلحية؛ ذلك أنَّ الناظر في البناء الداخلي لهذا **الكتاب** على صعد المنهج والمصطلحات يجدها أن هناك نظامًا ثاوي يحكم تفكيره النحوي من جهة ترتيب الأبواب النحويَّة، وطريقة فهم كلام العرب، وتقعيد ظواهره التركيبيَّة، فهي مبنيَّة على نظام الأبواب النحويَّة .

ومن العلومِ أنَّ **مفهوم (الباب النحوي)** يُطلق على موضوعات علم النحو، ويكون من خلال إطلاق لفظ الجزء وإرادة جميع أجزاء الموضوع له؛ كقولهم: **(باب الكلام وما يأتلف منه)**، و(باب **المعرب والمبني)**، و**(باب المبتدأ والخبر)**، و**(باب الفاعل)**، و**(باب الحال)**، و**(باب كان وأخواتها)**، ونحو ذلك، كما نجد أنَّ هذه الأبواب مرتبة ضمن علاقات لزوميَّة ومتسلسلة يربط الجزء بالكل، والفرع بالأصل ضمن

عمليَّة متكامليَّة يفضي بعضه إلى بعض، ومن هنا يتضح لنا أنّ **مفهوم الباب النحوي** له تأثير في توجيه تفكير **سيبويه** في أثناء تعامله مع الظواهر النحويَّة؛ ذلك أنّ معنى الباب في جوهره يقوم على وجود وَحدة نسقيَّة محددة، ينتظم فيها جميع النظائر النحويَّة في موضوع واحد، ثم تتحدد فيه دلالاته الاصطلاحيَّة وعلاقته المفهوميَّة مع مصطلحات نحويَّة تندرج ضمن باب نحوي بعينه. وهذا ما جعل الباب النحوي ذات وظيفة نسقيَّة وتفسيريَّة لمختلف المصطلحات النحويَّة التي يستخدمها النحوي في بناء الأحكام وصياغة القواعد النحويَّة .

ثانيا – العلاقة النسقيَّة بين الأصل والفرع:

نُشير في البدايَّة أنَّ مصطلحي **(الأصل والفرع)** كثير الاستعمال في كلام النحويين؛ حيث قامت عليهما ضروباً من التوظيف والتقسيم والتأصيل ضمن علاقة نسقيَّة تجمع بينهما؛ حيث يحكمهما ارتباطات لزوميَّة ومنطقيَّة لا ينفك بضعه عن بعض؛ مما ساعدت النّحويين على بناء المفاهيم النحويَّة، وتحديد أساسها التعليليَّة، وهذا ضمن تصور مبني على أن هناك أصلاً جامعًا أو مبدأ كليًّا يتضمنها أو يحوي قضايا جزئيَّة معللة نسيقيا؛ ذلك أنَّ **الأصل النّحوي** إجمالا هو معطى نظري عام ومطرد نشأ من استقرار النحوي لعدد من الظواهر النحويَّة المتناظرة أو المتشابهة؛ بحيث يمكن تجميع تلك المشتركات في أصل واحد، مما يمكن النَّحويُّ من تعميمه على باقي الفروع التي تشترك في العلة النحويَّة نفسها.

كما نجد أنَّ **سيبويه** وظَّف مصطلحي **(الأصل)** و**(الفرع)** بكيفيات متنوعة، وبدلالات مختلفة، غير أن الرابط بينها هو أن الأصل يمثل الأسبقية في الوجود والفرادة في النوع، والشيوع في الاستعمال؛ إذ من خلاله يتم تفريع جميع الفروع التي تحمل معها الصفات الثابتة للأصل؛ فكل من (التعريف)، و(المؤنث) و(الجمع)؛ وهي مأخوذة من أصل وهي: **(التنكير) و(المذكر) و(المفرد)**، وهذا التفريع يقع ضمن نسقيَّة يتألف منها عناصر التأصيل النحوي.

وهذا ما نجده –كذلك – عند **ابن جني معتبرا** أن(**الأصل)** هو ما يوجد ويستمر في جميع فروعه، وهو ما لا يحتاج إلى علامة، وهو بذلك مستغن عن فروعه، وإنه ما يبنى عليه؛ مما جعله يوظفه في التعليل النسقي للمفاهيم النحويَّة ومن ذلك قوله: "ومن إصلاح اللفظ قولهم: **(كأنَّ زيدًا عمرو)**، اعلم أنَّ أصل هذا الكلام : **(زيدٌ كعمرو)**، ثم أرادوا توكيد الخبر فزادوا فيه **(إنَّ)**، فقالوا: **(إنَّ زيداً كعمرو)**، ثم إنهم بالغوا في توكيد التشبيه، فقدَّموا حرفه إلى أول الكلام عنايَّة به، وإعلاماً أنَّ عقد الكلام عليه، فلمَّا تقدَّمت الكاف وهي جارة لم يجز أن تباشر **(إنَّ)**؛ لأنَّها ينقطع عنها ما قبلها من العوامل، فوجب لذلك فتحها، فقالوا : **(كأنَّ زيدا عمرو)** على أنَّ زيداً (مبتدأ)، وأن النصبة حركة اقتضاء .ويرى **ابن جني** أن

(كأنَّ) مركبة من الكاف و(أنّ)، والدليل على ذلك قوله: كأن ولعل ... وهما مركبتان لأنّ الكاف زائدة واللام زائدة"2 فهذا التعليل قوامه أن الفرع الواحد مبني على أصل جامع وهو العلة المشتركة.

هذا، ويؤكد **عبد الرحمن الحاج صالح** " أنّ المصطلحين [أي الأصل والفرع] يعدّان من المفاهيم المنهجيَّة الأساسيَّة في علوم العربيَّة. هذا ويبدو لأول وهلة أنّ للغة عند النُّحاة مراتب، فبعض الفئات من عناصرها وتراكيبها هي أسبق من بعض"[25]؛ إذ لا يمكن أن نتصور فرعاً دون وجود أصل ينبني عليه.

ثالثا – نسقيَّة البنيَّة والمجرى في الاصطلاح النحوي:

لقد بنى سيبويه بعض المفاهيم النحوية من خلال إدراك العلاقة النسقية القياسية التي تجمع بين البنيَّة الصيغية اللغوية ومجراها النطقي ضمن الصلة التلازمية التكافئية مع أصل استعمال العرب لها، وذلك أن يكون لكل مجرى كلامي مسلكه الخاص به؛ حيث يتحدد من خلاله تموضع كل عنصر لغوي مع عنصر آخرى ضمن بنية صرفية معلومة أو علاقة تركيبية جملية مخصوصة وغير ذلك مما يمس اللفظ أو البنية في أثناء اندراجها في مجاريها الكلامية، وفي ذلك يقول سيبويه " ينبغى أن تُجرى الحروف كما أجرته العرب، وأن تعنى ما عنوا بها"[26] ونستنتج من هذا القول إن لكل كلام عربي مقيد بمجرى لساني محدد نقيس عليه مختلف المنطوقات اللغوية؛ مما يتوجب على المتكلم أن يحتذي به في أثناء تكلمه ولا ينفك عنه، فلكل بينة تكوينها الداخلي الترابطي المتولد عن المجرى الكلامي المعهود في كلام العرب الفصحاء المؤدي إلى إنشاء صيغة لفظية معنية.

فجريان حروف اللغة العربية في أنساقها الصرفية والجملية مبنية في أساسها على اتباع مجاري التأديات النطقية المعهودة بها في لسان العرب، وهذا ما يفسر لنا طريقة انتظامها وتساوق بعضها في بعض، كما يكشف أسباب وجودها على ما هي عليه، وفي ذلك يقول سيبويه: " ويجريان مجرى واحدا فيما وصفت لك"[27]، ويقول في موضع آخر: "الحد فيها هذا أن يجري هذا المجرى"[28] وهذا المعطى النطقي يكشف لنا أن مجاري الكلم هي التي تحدّد صوغ الكلمات، وتُبين مسلك تكوينها الصرفي أو النحوي؛ حيث إن العناصر اللغوية في أثناء تركيبها وإعرابها وتصريفها ونحو ذلك مما يعتري اللفظ أو البنية محكومة بطريقة إدراجها وتموضعها في أحد مجارى كلام العرب، التي تحكم عمليات صوغ العبارات وبنائها ولا يحددها أيّ مفاهيم صورية سابقة، بل إنها تصورات قامت على الحس والنظر في سياق تتبع مختلف التحديدات المتعلقة بالمجارى النطقية الوردة في لسان العرب، مما اكسبها تساوقا في الانتظام والاندراج والبناء في صياغة المفاهيم النحوية.

خاتمة:

إن هذه الرحلة في التكوينات النسقية للمفاهيم النحوية في كتاب سيبويه، قدمت لنا استنتاجا جدّ مهمة نجملها في النقاط التالية:

– قدم هذا البحث نظرة مجملة عن البناء النسقي المكوّن للمفاهيم النحوية وتعيين مصطلحاتها عند سيبويه باعتبار أن النسق هو بنية علائقية تآلفية وتصورية ثاوية في النظام اللغوي؛ حيث إن المفاهيم النحوية منها ما يصدر عن أصل ينبثق منه فروعٌ يجمعها علل جامعة، ومنها ما يصدر عن الباب النحوي الذي تندرج فيه.

– يعتمد سيبويه– في بناء المفاهيم النحوية وكيفية تحليلها وضبط تعريفها– على بيان العلاقات الإسنادية التي تجمع بين المسند والمسند إليه، وذلك بغرض إبراز العوامل اللفظية وغير اللفظية المؤثرة في إعرابها، ومعرفة ما ينتج عنها من دلالة نحوية مختلفة.

– أثبتت بعض المفاهيم النحوية عند سيبويه على اشتراكها قي بعض الخصائص النحوية من ذلك المفعولية والمعمولية والموقعية، فجد مثلا: المفعول به والمفعول معه متماثلان جزئيا من حيث اشتراكهما في النصب اللذان يحيلان إلى المفعولية والمعمولية باعتبارهما متعلقين بنوع العوامل الداخلة عليهما .

– يستند البناء النّسقي المفهومي في الدرس النحوي إجمالا، وعند سيبويه خصوصا على مفهوم الخاصية باعتبار صفة متفردة قائمة في تعريف المصطلح النحوي؛ نحو: **(خاصية الاسناد)**، و**(خاصية الاسمية)**، و**(خاصية العاملية والمعمولية)**، و**(خاصية الرفع)**، وكلها لها دور في صياغة مفهوم **(الفاعل)** و**(المبتدأ)** و**(اسم كان)** و**(خبر إن)** وغيرها، وهذه الخاصيات المشتركة أسهمت في وضع بعض التعريفات النحوية، وبناء حدودها.

– إن فهم المقاصد النحوية المستبطنة من كتاب سيبويه لا يمكن تحصيله إلا عبر قراءة نسقية نصية شاملة فينظر إلى مصطلحاته في نصوصها التي وردت فيها، وضمن شبكة من العلاقات التساندية والترابطية والوظيفية التي تجمعها؛ وذلك لأجل تبيُّن مضامينها الدلالية، وبيان مفاهيمه الاصطلاحية، وتقعيد أحكامها.

الهوامش والاحالات:

1 – ينظر: محمود أحمد السيد، (1987م)، تطوير مناهج تعليم القواعد النحويَّة وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، المنظمة العربيَّة للتربيَّة والثقافة والعلوم، تونس، ص50– 65.

♦– يقصد بالنظريَّة المصطلحيَّة الكلاسكيَّة العامة تلك النظريَّة التي وضعها **(فوستر)** في بدايَّة العقد الثالث من القرن العشرين بهدف ضبط المبادئ العامة التي يتحكم وضع المصطلحات، طبقًا للعلاقات القائمة بين المفاهيم العلميَّة، وتعالج المشكلات المشتركة بين جميع اللغات وفي حقول المعرفة كافة، ينظر: أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيَّة، (2005م)، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحيَّة والطبيَّة، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحيَّة، فارس، المغرب، دط، ص9.

2– ينظر: أرسلان زكرياء، (1437هـ – 2016م)، إبستومولوجيا اللغة النحويَّة: بحث في مقاييس العلميَّة ومرجعيات التأسيس والتأصيل، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، ص29– 95 .

3– ينظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (1399هـ – 1979م)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3، ص66.

4 – ابن فارس، أبو الحُسين أحمد، مقاييس اللغة، (1399هـ – 1979م)، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، مادة: (ن س ق)، ج5، ص420

5 – الزمخشري، أبو القاسم جار الله ، محمود بن عمر بن أحمد، (1419هـ – 1998م)، أساس البلاغة، تح: محمّد باسِل عيُون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت لبنان، ط1، ج2، ص266.

6– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (1419هـ – 1999م)، لسان العرب، تح: أيمن محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربي، ببروت، لبنان، ط3، مادة (ن س ق)، ج14، ص127.

7– ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن س ق)، ج14، ص127.

8– ينظر: جميل حمداوي، (2006م)، نحو نظريَّة أدبي ونقديَّة جديدة (نظريَّة الأنساق المتعددة)، على شبكة الألولة، ط1، ص8.

9 –REMAOUN Hassan, (2012) l'Algérie aujourd'hui: Approches sur l'exercice de la citoyenneté, Éditions CRASC, , p45. 18.

10– سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قَنبَر، (2009)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط5، ج1، ص48.

11– المصدر نفسه، ج1، ص65.

12– المصدر نفسه، ج1، ص58.

13– أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، (1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد ورمضان عبد التواب، مكتبة المدني، القاهرة، مصر، ط1، ج2، ص831.

14- سيبويه، الكتاب، ج1، ص48.

15- المصدر نفسه، ج1، ص23.

16- نهاد الموسى، (1987م)، نظريَّة النحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث، دار البشير، عمان، الأردن، ط2، ص39-40.

17- سيبويه، الكتاب، ج1، ص13.

18- عبد الرحمن الحاج صالح،(2012م)، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيَّة، موفم للنشر، الجزائر، دط،ج1 ص333.

19- عبد الرحمن الحاج صالح، (2016م)، البنى النحويَّة العربيَّة، مجمع اللغة العربيَّة، الجزائر، دط، ص73.

20- الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق، (1989م)، الإيضاح في علل النحو، تح: مالك المبارك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط3 ص54.

21- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2012م)، سر صناعة الإعراب، تح علاء حسن أبو شنب، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، مصر، دط، ج1، ص14.

22- المصدر نفسه، ج1، ص14.

23- محمد محمود بن محمد الأمين، (1422هـ - 2001م) النسق المصطلحي في كتاب أصول النحو لابن السراج مصطلح (الكلام) نموذجاً، مجلة الدراسات المصطلحيَّة، المغرب، العدد: 01، ص191.

24- نقله جلال الدين السيوطي، (1406هـ- 1985م)، في الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، ج2، ص239- 240.

25- عبد الرحمن الحاج صالح، (2012م)، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، ص140.

26- سيبويه، الكتاب، ج1، ص166.

27- المصدر نفسه، ج2، ص27.

28- المصدر نفسه، ج1، ص166.

قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيَّة، (2005م)، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحيَّة والطبيَّة، المكتب الإقليمين لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحيَّة، فارس، المغرب، دط.

- أرسلان زكرياء، (2016م)، إبستومولوجيا اللغة النحويَّة: بحث في مقاييس العلميَّة ومرجعيات التأسيس والتأصيل، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1.

– أبو حيان الأندلسي، (1998م)، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد ورمضان عيد التواب، مكتبة المدني، القاهرة، مصر، ط1.

– ابن جني، أبو الفتح عثمان، (2012م) سر صناعة الإعراب، تح علاء حسن أبو شنب، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة، مصر، دط.

– الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (1979م)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس بيروت، لبنان، ط3.

– الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، (1419هـ – 1998م)، أساس البلاغة، تح: محمّد باسِل عيُون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط1، ج2.

– جلال الدين السيوطي، (1406هـ– 1985م)، الأشباه والنظائر في النحو، تح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ط1، ج2.

– سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قَنبَر، (2009م)، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، القاهرة، ط5، ج1.

– ابن فارس، أبو الحُسين أحمد، (1399هـ – 1979م)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، دط..

– عبد الرحمن الحاج صالح، (2012م)، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيَّة، موفم للنشر، الجزائر، دط، ، ج1.

– عبد الرحمن الحاج صالح، (2016م)، البنى النحويَّة العربيَّة، مجمع اللغة العربيَّة، الجزائر، دط.

– عبد الرحمن الحاج صالح، (2012م)، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط.

– محمود أحمد السيد، (1987م)، تطوير مناهج تعليم القواعد النحويَّة وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، المنظمة العربيَّة للتربيَّة والثقافة والعلوم، تونس.

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، (1419هـ – 1999م) لسان العرب، تح: أيمن محمّد عبد الوهاب ومحمّد الصّادق العبيديّ، دار إحياء التراث العربي، ببروت، لبنان، ط3 .

– نهاد الموسى، (1987)، نظريَّة النحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث،دار البشير، عمان، الأردن، ط2.

–REMAOUN Hassan, (2012) .l'Algérie aujourd'hui : Approches sur l'exercice de la citoyenneté, Éditions CRASC.

- **المقالات:**

– محمد محمود بن محمد الأمين، (2001م – 1422هـ)، النسق المصطلحي في كتاب أصول النحو لابن السراج مصطلح (الكلام) نموذجاً، مجلة الدراسات المصطلحيَّة، المغرب، العدد: 01.

- **مواقع الانترنيت:**

– جميل حمداوي، (2006م) نحو نظريَّة أدبي ونقديَّة جديدة (نظريَّة الأنساق المتعددة)، على شبكة الألولة، ط1.
الموقع: الألوكة www.alukah.net